من غزل الملوك

للأستاذ عبد الله مخلص

كنتُ أعددت بعض فصول من كتاب باسم « العاطفة عند العرب » وبينها فصل عنوانه سلطان الحب وحب السلاطين فرأيت أن أنقل شيئاً منه لقراء الرسالة ترويحاً عن نفوسهم المكروبة فى هذه الأيام السود . قال سليمان بن الحكم المروانى الملقب بالمستعين وهو من بنى أمية :

عجباً يهاب الليث حدّ سنانى ... وأهاب سحر فواتر الأجفان
وأقارع الأهوال لا متهيّباً ... منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت نفسى ثلاث كالدمى ... زُهر الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظر ... من فوق أغصان على كثبان
حكمت فيهن السلو إلى الصبا ... فقضى بسلطان على سلطانى
فأبحن من قلبى الحمى وتركننى ... فى عز ملكى كالأسير العانى
لا تملنوا ملكاً تذلّل للهوى ... ذلّ الهوى عزّ وملك ثانى
ما ضرّ أنى عبدهن صبابة ... وبنو الزمان وهن من عبدانى
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى ... كلفاً بهنّ فلستُ من مرّان

وقال الخليفة هارون الرشيد العباسى يرثى جاريته هيلانة :

فارقت عيشى حين فارقتها ... فما أبالى كيفما كانا
كانت هى الدنيا فلما ثوت ... فى قبرها فارقت دنيانا
قد كثر الناس ولكننى ... لست أرى بعدك إنسانا

وكان للخليفة المأمون العباسى جارية بارعة الجمال ظريفة حاذقة بالغناء ونظم الشعر تدعى عريب وقد كان اشتراها من أخيه المعتصم بمائة ألف دينار ثم أعتقها، وكان المأمون شديد الكلف عظيم الشغف بها فقال مداعباً لها :

أنا المأمون والملك الهمام ... على أنى بحبّك مستهام
أترضى أن أموت عليك وجداً ... ويبقى الناس ليس لهم إمام

فقالت يا أمير المؤمنين والملك أعشق منك حيث قال :

ملك الثلاث الآنسات عنانى ... وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البريّة كلها ... وأطيعهنّ وهنّ فى عصيانى
ماذاك إلاّ أنّ سلطان الهوى ... وبه قوين أعزّ من سلطانى

ويرى القارئ أن الرشيد أغار على أبيات ابن الحكم الأموى

وقال المعز لدين الله الفاطمى :

لله ما صنعت بنا ... تلك الهاجر بالمهاجر
أمضى وأقضى فى النفو ... س من الخناجر فى الخناجر
ولقد تعبت بينكم ... تعب المهاجر فى الهواجر

وقال أيضاً :

أطلع الحسن من جبينك شمساً ... فوق ورد فى وجنتيك أطلاّ
وكأن الجمال خاف على الور ... د جفافاً فمدّ بالشعر ظلاّ

وقال السلطان سليم ـ بن السلطان بايزيد العثمانى ـ فاتح مصر :

لولا الإله وحرّ نار جهنّم ... لعبدته وسجدتُ بين يديه

* * *

وهذه أشعار بعض الأمراء والوزراء الذين كانوا ملوكاً بالفعل فى إدارة الممالك وعبيداً فى دولة الحب

قال الأمير عبدالله بن طاهر بن الحسين من أمراء الدولة العباسية:

نحن قوم تلينا الحدق النجـ ... ـل على أننا نلين الحديدا
طوع أيدى الظباء تقتادنا المي ... ـن وتقتاد بالطعان الأسودا
تملك الصيد ثم تملكنا البي ... ـض المصونات أعيناً وخدودا
تتقي سخطنا الأسود وتخشى ... سخط الخشف حين يبدى الصدودا
فترانا يوم الكريهة أحرا ... را وفى السلم للغوانى عبيدا

وقيل إن هذه الأبيات هى لأصرم بن حميد ممدوح أبى تمام

وقال محمد بن عبد الملك الزيات الوزير العباسى :

صغير هواك عذّبنى ... فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبى ... هوًى قد كان مشتركاً
وحسن رضاك يقتلنى ... وقتلى لا يحلّ لكا
أما ترثى لمكتئب ... إذا ضحك الخليّ بكا

وقال سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب يصف حجزه إحدى جواريه فى قلعة عند ما خاف عليها :

راقبتنى العيون فيك فأشفقـ ... ـت ولم أخلُ قطّ من إشفاقِ
ورأيت العدوّ يحسدنى فيـ ... ـك مجدّاً بأنفس الأعلاقِ
فتمنيتُ أن تكونى بعيداً ... والذى بيننا من الودّ باقِ
ربّ هجر يكون من خوف هجرٍ ... وفراقٍ يكون خوف فراقِ

وقال طلائع بن رزيك من وزراء الدولة الفاطمية من أبيات :

الناس طوع يدى وأمرى نافذ ... فيهم وقلبى الآن طوع يديه
فاعجب لسلطانٍ يعمّ بعدله ... ويجور سلطان الغرام عليه
والله لولا اسم الفرار وأنه ... مستقبح لفررتُ منه إليه

عبد الله مخلص